تناقض ميداني اسرائيلي

جاءت استقالة الوزير الاسرائيلي اريئيل شارون، وبعدها انهيار الحكومة الاسرائيلية برمّتها، لتقدم العلامات الاولى عن مدى التأثير العميق للانتفاضة الفلسطينية في البنيان السياسي، والحزبي، لاسرائيل، حيث وقعت الحادثتان في غضون أربعة اسابيع فحسب، بين ١٦ شباط (فبراير) و١٥ آذار (مارس). كما انعكست هذه الازمة بتناقض المعالجة الاسرائيلية الميدانية للانتفاضة؛ اذ تراوحت الاجراءات والتصريحات بين التراجع التدريجي تجاه المؤسسات التعليمية الفلسطينية، مثلاً، وبين تجديد البحث في الاساليب الكفيلة باحكام السيطرة على الارض المحتلة، بعد الفشل في منع التظاهرات وكمائن الحجارة وتصفية المتعاونين مع الاحتلال. وابرز مؤشر على ذلك الفشل اشتداد المواجهة في قطاع غزة؛ فيما أصدر التقرير الحكومي الاميركي السنوي عن حقوق الانسان ليزيد في الضغوط السياسية على سلطات الاحتلال. كما شملت احداث الشهر المذكور بوادر التصعيد العسكري من قبل المناضلين الفلسطينيين في الارض المحتلة، ممّا رافق تحذيرات م.ت.ف. من عواقب تضخّم هجرة اليهود السوفيات، ووقوع خمس اغارات جوية اسرائيلية على جنوب لبنان.

المواجهة في غزة

كان قطاع غزة الموقع الرئيس للمجابهة المستمرة بين جماهير الانتفاضة وجنود الاحتلال الاسرائيلي خلال الفترة الماضية، وذلك بعد اندلاع تظاهرات واسعة في ٢٦ شباط (فبراير)، نتجت عنها اصابة مئة مواطن بجروح، منهم ٨٠ في رفح. وقد تواصلت الصدامات، محدثة المزيد من الاصابات، والتي بلغت ٥٢ جريحاً في اليوم التالي، و٤٨ جريحاً اضافياً في ٢٨ الشهر. وتجدر ملاحظة ارتفاع نسبة المصابين بالرصاص الحي والاعيرة البلاستيكية، ممّا ادى الى سقوط المزيد من الجرحى يومياً، فاضطر الامين العام للامم المتحدة، بيريز ديكويلار، الى مطالبة اسرائيل بالتزام بنود معاهدة جنيف الخاصة بمعاملة المدنيين تحت الاحتلال (الحياة، لندن، ٣ ـ ٤/٣/١٩٩٠). وقد حصلت تلك المواجهات في وضع تصعيد القمع العسكري، ووضع تحدّيه، حيث كانت سلطات الاحتلال اغلقت ساحل قطاع غزة بطوله البالغ ٤٠ كيلومتراً، في ٢٠ شباط (فبراير)، اثر صدامات محلية، فيما سيّر سلاح البحرية الدوريات قبالة الشاطىء (المصدر نفسه، ٢١/٢/١٩٩٠).

غير ان هذا الاجراء لم يجد نفعاً؛ اذ وقعت دورية اسرائيلية في كمين مسلّح أصيبت خلاله سيارة جيب عسكرية بالرصاص، جوار رفح، في ٢٢ شباط (فبراير)، ممّا دفع العدو الى اجراء حملة تمشيط واسعة، واعتقال ٨٠ شخصاً للتحقيق بالحادث (فلسطين الثورة، نيقوسيا، ٣/٣/١٩٩٠). وقد فرض نظام حظر التجول على المنطقة؛ الّا ان ذلك لم يمنع حدوث أعنف التظاهرات والصدامات الجماهيرية في تلك المدينة ومخيّمها، ممّا دفع السلطات، نهاية، الى تمديد حظر التجول حتى الخامس من آذار (مارس). وقد استمرت المجابهة في باقي انحاء قطاع غزة، في تلك الاثناء، حيث سقط ١٤ جريحاً بالرصاص وحده، بتاريخ الثامن من الشهر، على سبيل المثال. كما شملت الاجراءات القمعية هناك هدم خمسة منازل في الاول من الشهر، واعتقال مئة شاب في العاشر منه (الحياة، ١١/٣/١٩٩٠).

مع اشتداد المواجهة مجدداً، أصدرت احصاءات حول حجم الخسائر والتضحيات التي تحمّلها المواطنون الفلسطينيون في القطاع خلال الفترة الماضية. فقد اوضحت المصادر الفلسطينية ان ستة سقطوا شهداء، خلال شباط (فبراير)، علاوة على ١١٤٠ جريحاً (فلسطين الثورة،